رسالة مفتوحة إلى عقلاء الأمة!!

بسم الله الرحمن الرحيم

«واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون» صدق الله العظيم

على الرغم من تعاقب العصور واختلاف الأمم والشعوب وتعدد الأقطار والأمصارعلى اختلاف مبادئها وعقائدها وتشريعاتها. فقد ضج تاريخ البشرية بأنواع عديدة من الشقاء وألوان مختلفة من المآسي.. بيد ان الحروب على اختلافها وتعدد أسبابها كبيرة كانت أم صغيرة.. أهلية أم دولية.. طائفية أم مذهبية.. تعد من أكبر وابشع المآسي الانسانية التي تعرضت لها البشرية والواقع ان الاسلام قد حمل المشعل المتفجر بالنور ماإن بلغ البشر حدا معينا من الوعي.. وقد حوى بين طياته عقيدة معنوية وخلقية انبثق عنها نظام كامل للانسانية وقد خط لها دربها الواضح وحدد لها أهدافها ورفع على أساسها راية إنسانية يحكمها مبدأ عقائدي ثابت يرسو على قاعدة فكرية واحدة ترسم أسلوب الحياة ونظامها.

بقلم /غدير الحسين

ان تربية الانسان على القاعدة الفكرية وتوجيه طباعه وأحاسيسه في اتجاهها من أهم وظائف الدولة الاسلامية وكذلك مراقبته من الخارج وإرجاعه الى القاعدة الفكرية الإسلامية إذا ماانحرف عنها عمليا.. ومن هنا يشاد البناء الاجتماعي المتماسك لأية أمة والذي ينبع من فهم معنوي للحياة وإحساس خلقي بها ينبثق عنهما فيملأ الحياة بروح هذا الاحساس وجوهر ذلك الفهم.

وقد أحاطت الشريعة الإسلامية بجميع أحوال وأفعال الإسلام إحاطة تامة وهي صالحة لكل عصر وزمان وهي إما ان تنصب دليلا بنص من القرآن والحديث وإما ان تضع أمارة في القرآن والحديث.. قال تعالى« ونزلنا عليك القران تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين »وقال تعالى« اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا كما قال رسول الله «ص» تركت لكم شيئين لن تضلوا بهما بعدي ابدا كتاب الله وسنتي.

والاسلام ليس دينا لاهوتيا عدا أنه يقضي على الاستبداد الديني فلا يوجد في الاسلام جماعة تسمى رجال دين وجماعة تسمى رجال دنيا بل إن جميع من يعتنقون الإسلام هم مسلمون وكلهم أمام الدين سواء وهو ينظر الى جميع الذين يحكمهم كوحدة انسانية بغض النظر عن الطائفة والجنس فلا يشترط فيهم الا التابعية كما انه لاتوجد اقليات في الاسلام فجميع الناس يعدون رعايا ماداموا يحملون التابعية وكلهم يتمتعون بالحقوق ذاتها التي قررها الشرع سواء كانوا مسلمين ام غير مسلمين.

ونظام الحكم في الاسلام هو نظام مركزي ونظام وحدة وهو الذي يسيطر على الحكم في جميع اجزاء الدولة ، والأمة مأمورة بطاعة الدولة أمراً ألهياً له أثره في نفسها خوفاً من عقاب الله وأمراً تشريعياً له نتائجه من العقاب الصارم في الدنيا وهذا ظاهر في الكثير من الآيات والأحاديث التي نصت على وجوب طاعة ولي الأمر فعن ابن عباس عن رسول الله (ص) قال: " من كره من أمير شيئاً فليصبر عليه فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبراً فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية".

وحيث أن الإسلام ينظر إلى الأمة نظرة جماعية في عقيدته ومبادئه وأوامره ومن لم يهتم بأمرها فليس منها ، قال رسول الله (ص) " من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم " ولذلك كان لزاماً على كل مسلم أن يعتبر نفسه مسؤولاً عن حماية أمته ورعاية مصالحها والحفاظ على أمنها واستقرارها وعليه واجب الدفاع عنها .. قال رسول الله : كل مسلم على ثغرة من ثغر الاسلام فلا يؤتين من قبله " وعليه فإن أي اعتداء على الدولة سواء من الداخل كإثارة الفتن والبلبلة والنعرات الطائفية والمذهبية .. أو من الخارج إنما يعتبر اعتداء على الإسلام نفسه.

لقد كانت المساجد التي هي بيوت الله على الأرض مركزاً للسلطة في بداية العصر الاسلامي ثم تحولت إلى جامعات دينية بعد أن أنشئت مؤسسات الدولة بإقامة الدواوين والوزارات المختلفة.

فتفرغت المساجد لأداء مهمتها الربانية في حفظ الدين وتعليم كتاب الله وسنة رسوله وإيضاح المفاهيم الإسلامية وإذكاء المشاعر الإسلامية كي يرتفع الوعي ويقوى الإدراك.

وقد أسهم اتساع رقعة الدول الاسلامية في إثراء العلوم الإسلامية فمضى المسلمون العرب ينهلون من كل الثقافات والمعارف ودخلت العربية سيول ثقافية وعلمية لا حصر لها ، فأصبحت تلك الجامعات منابر للدين ومشاعل للعلم وقد خرجت تلك الجامعات الاسلامية علماء في شتى أنواع العلوم والفنون الانسانية.

لا شك أن فتح باب الاجتهاد في الدين كما تنص الشريعة الإسلامية قد جعل المسلمين يجتهدون في استنباط الأحكام ، وبطبيعة الحال فإن التفاوت في الفهم قد أدى إلى حصول الاختلاف في فهم وادراك الأفكار المتعلقة بالعقائد وبالتالي الاختلاف في الأحكام والآراء المستنبطة ما أدى إلى وجود الفرق والمذاهب المختلفة . وعلى الرغم من تعدد الفرق والمذاهب الاسلامية إلا أن جميعها تعتنق عقيدة واحدة هي العقيدة الإسلامية وجميعها مخاطبة باتباع أوامر الله واجتناب نواهيه ، ومأمورة باتباع الحكم الشرعي لا اتباع مذهب معين ، وكان لزاما على الدولة ألا تتعرض لهذه الفرق الإسلامية ما دامت لا تخرج عن عقيدة الإسلام.

وعلى الرغم من بعض الفترات التي شهدت أنواعاً كثيرة من التطرف الفكري الذي حصل بين بعض هذه الفرق الإسلامية إلى حد الاقتتال الفكري فيما بينها إلا أن باب المناقشة والحوار ظل مفتوحاً مما أدى إلى إثراء المكتبة الإسلامية ، ولنا في تلك المحاورات والمناظرات في عهد الخليفة العباسي المأمون بين أئمة المذاهب المختلفة مثال رائع لمعنى الحوار والاختلاف في المنهج الاسلامي القائم على الرأي والقياس والاجماع والاتفاق وكان الأمام " علي بن موسى الرضي من أبرز المحاورين في البلاط العباسي الرحب.

لقد اختلف المسلمون إلى مذاهب عديدة في السياسة والفقه والاعتقاد غير أن هذا الاختلاف لم يتناول لب الدين وجوهره ، ورغم أن هذا الخلاف لم يكن في ركن من أركان الإسلام وإنما كان في أمور لا تمس الأركان والأصول لكنه بدون شك كان شراً بالنسبة لما دار حول بعض العقائد نتيجة لاختلاف الفهم لبعضها وقد روي عن زينب بنت جحش أنها قالت : "استيقظ النبي محمراً وجهه .. ويقول : لا إله إلا الله .. ويل للعرب من شر قد اقترب".

ولعل من أهم أسباب الخلاف هو العصبية العربية والتزاحم على الخلافة ، واختلاط المسلمين بأهل الديانات الأخرى ففي ظل ظهور العديد من الترجمات الفكرية والتعمق في البحث في الأمور الغيبية وظهور القصص مثل "إسرائيليات" و "المتشابه في القرآن" دون التسلح بمبادئ الإسلام وعدم رسوخ العقيدة الإسلامية لدى البعض أثراً كبيراً في ازدياد الخلاف واتساع الفجوة بين اتباع المذاهب المختلفة.

وقد كان العلماء على اختلاف مذاهبهم مصابيح الدجى وسفن النجاة .. والذين كان لهم في الفكر الإسلامي صولات وجولات يحفظها لهم التاريخ حتى يرث الله الأرض بمن عليها.

فقد كرسوا حياتهم للعلم والتعليم وكانت قوافل الطلاب تشد الرحال إليهم من أقاصي البلاد وأمصارها ليتلقوا العلوم ويتأدبوا على أيديهم وقد كانت تعطف الركب في حضرتهم.

وبينما أنا أتنقل بين كتب التاريخ الإسلامي لأنهل من سير وينابيع فكر هؤلاء العلماء استوقفني ما يسمى بـ«محنة الإمام».

فلاحظت أن كثيراً من العلماء قد تعرضوا لأنواع شتى من المضايقات من قبل الحكام والولاة في عهدهم.

فها هو ابن تيميه يؤخذ مأسوراً على ظهر البغل إلى مصر فيكتب معظم فتاواه وهو مسجون وعندما توفي في السجن لم تمنع تلك الجموع الهادرة التي حضرت جنازته من أتباعه ومحبيه لأنهم يعرفون أن لهم حدوداً يصلون إليها.

أما السرخسي فقد ألف كتابه الشهير «المبسوط» من خمسة عشر مجلداً وهو محبوس في بئر ، وكتب ابن القيم «زاد المعاد» وهو على ظهر سفينة ، كما لم يمنع ابن كثير عجزه فقد كان مقعداً عن تأليف كتبه الرائعة «جامع الأصول» و «البداية والنهاية» وأملى أبو العلاء المعري دواوينه وهو أعمى.

وعلى الرغم مما واجه العلماء من محن وتعرضهم لمصاعب كبيرة على أيدي بعض حكامهم وولاتهم إلا أن أياً منهم لم يسل سيفه أبداً إلا في وجه أعداء الإسلام والمسلمين وظلوا دائماً يرفضون بل ويحرمون الاقتتال في مابين المسلمين مهما كانت الأسباب.

وقد اتسم العلماء بالصبر والحلم والاحتمال ، وذلك كان انطلاقاً من إيمانهم بالله واقتداءً بسيرة الرسول الكريم محمد «ص» ، الذي صبر على الظلم والأذى في سبيل تبليغ رسالته .. وأذكر على سبيل المثال ما احتمله النبي عندما حاصرته قريش في الشعب هو وأصحابه حتى أكل الورق ، وربط الحجر على بطنه من شدة الجوع فكان في سيرته وهديه المثل والقدوة العليا التي كان العلماء والصحابة يسعون جهدهم للاقتداء بها.

فمنهم الإمام "موسى بن جعفر الكاظم" الذي لقب بالكاظم لكظمه الغيض ووفرة حلمه كما لقب بالعبد الصالح.

وها هو حبر الأمة "عبدالله بن عباس" يهادن الدولة الأموية رغم اختلافه معها

فاستفادت الأمة من هذه المهادنة فكراً عظيماً وعلماً نافعاً ووضعه عبد الله بن عباس للأمة الإسلامية من بعده فكان بحق حبر الأمة كما قال عنه العباس عم الرسول.

كذلك الامام جعفر الصادق وهو الامام السادس في الاثنى عشرية الذي هادن العباسيين فاخرج الفكر الذي يحمل اسمه وهو الفكر الجعفري ولو كان حمل سيفه وقاتل الحكام لما وصلنا شيء من هذا الفكر .

والامام محمد بن علي الباقر وريث أبيه في العلم كان العلماء يقصدونه من كافة أطراف البلاد الإسلامية وما زار أحد المدينة إلا وعرج على بيت الباقر ليستزيد من علومه فقصده الكثير من الأئمة منهم سفيان الثوري والامام ابي حنيفة وقد عاش بعيدا عن السياسة وتفرغ للعلم وبذلك أبعد نفسه عن اضطهادات الأمويين والعباسيين.

ولانتسى الامام «زيد بن علي» والذي حاول تصحيح الافكار التي كانت قائمة بين شيعة آل البيت في عصره حول صحة خلافة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما فكان من رأيه أن الخلافة لاتكون بالوراثة فقط أو في آل البيت ولا بالأفضلية بل يراعى مع هذا مصلحة المسلمين وعدالة الوالي ويسمى ذلك بـ إمامة المفضول" أي جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل.

إن المتتبع لسير هؤلاء العلماء الاجلاء يجدهم ابتعدوا بقدر ما يستطيعون عن الخوض في مجال القيادة السياسية للدولة فقد كرسوا حياتهم لهدف نبيل ألا وهو تحصيل العلوم وتعليمها وتدوينها للأجيال القادمة حتى تكون مرجعاً للأمة الإسلامية ولم يحاولوا قط إثارة النعرات الطائفية والمشاكل المذهبية تحت أي ظرف كان بل سعوا ما استطاعوا إلى رأب الصدع وحل النزاعات ووقفوا ضد الفتنة بكافة صنوفها وأشكالها ومسمياتها..

فما بال البعض ممن كنا نعتقد بعلمهم قد خرجوا عن نهج من سبقهم من العلماء وتخلوا عن أهدافهم النبيلة وآثروا نزعاتهم الشخصية ومطالبهم الدنيوية على المصلحة العامة لأمتهم ودولتهم.

وانه ليؤسفني أن يقف اليوم أحد هؤلاء خصماً لوطنه ودولته مثيراً البلابل والفتن التي لم تخمد نارها بعد وليعيد سفك نهر الدماء مجدداً بحجة الثأر لأبنائه رغم علمه ويقينه بأنهم إنما ذهبوا ضحية أنفسهم وافكارهم وتطرفهم الأعمى والذي أدى إلى قيام معركة هي أشبه بحرب صغيرة راح ضحيتها المئات من أبناء الشعب اليمني جنوداً ومواطنين.

وكان الأجدر به أن يكون قدوة حسنة لآل البيت لا أن يشعل الفتيل مجدداً مانحاً أعداء الأمة الفرصة لاستغلال هذه النزاعات الداخلية في بث سمومهم بين المسلمين وزعزعة إيمانهم وتشتيت صفوفهم في الوقت الذي نحن فيه بأمس الحاجة لتوحيد الصفوف وتعزيز وحدة الوطن والمحافظة على أمنه واستقراره فقد كان لنا في آل البيت قدوة حسنة.

فلننظر إلى الحسين بن علي ابن بنت رسول الله يقتل فلا يثأر آل بيته لمقتله حقناً لدماء المسلمين يقول الشاعر:

جاءوا برأسك يا بن بنت محمد متزملا بدمائه تزميلا
ويكبرون بأن قتلت وإنما قتلوا بك التكبير والتهليلا

وها أنت الآن وبدلاً من محاولة إصلاح الخطأ الذي ارتكبه ولدك ومحاولة التكفير عن ذنبه تقوم بإثارة الفتنة مجدداً.

أما كان حرياً بك أن تدعو إلى التمسك بالكتاب والسنة وأن تنهج طريق العلماء السابقين وتقتدي بسيرهم حقناً لدماء المسلمين "الفتنة نار لعن الله من أشعلها""الفتنة نار لعن الله من أشعلها""الفتنة نار لعن الله من أشعلها"

والله من وراء القصد

Kadeer-alhoseen@yahoo.com

آفاق

مرحباً مام جلال!!

■ مرحباً.. مام جلال.. إلى رئاسة الجمهورية العراقية، فيجلوسك على الكرسي العتيد تتماثل جراح كثيرة وكبيرة للالتئام وتنفتح طرق للسير وتنشط عقول للتفكير السليم ويتوازن المجتمع الذي كان مختطفاً من نظام شمولي أحل الحزب محل الشعب ثم أحل القائد محل الحزب ولكي يبرر فعلته النكراء المخالفة لكل ما يعلنه ألّه القائد فهو لا ينطق عن الهوى ولا يسمح لأحد بالحديث إليه ناهيك عن النظر في عينيه، وبهذه الفرعنة، دخل العراق في أنفاق مظلمة لها أول وليس لها آخر، وما من أحد يستطيع أن يقول «كفى»، أو إلى أين من هنا؟، أو ياسيدي أن شعبك الذي يعشقك ويعيد انتخابك بنسبة مائة بالمائة يموت كالذباب خوفاً وجوعاً وعطشاً وضياعاً وفناء في تخيلاتك بينما ثرواته تذهب إلى محارق الحروب وسفاهات الجيوب وإلى المنافقين الذين يطبلون ويزمرون لكل اجراءاتك التطهيرية من تهجير جماعي وتوطين قسري وقطع للألسنة ووسم للجباه وتقبير جماعي وسيتبرأون منك عند الحساب كما يتبرأ الشيطان ممن أغواهم يوم الدينونة.

كان الأكراد في وسط كل تلك الجلبة الضاجة هم الغرباء، كالأيتام على موائد اللئام، لا يؤبه لهم ولا يحسب حسابهم كأنهم عابرون في وطنهم، ومن هنا جاءت الوحشة الموحشة، وعدم الثقة المطلقة، والتربص الدائم حتى عرف من لا يعرف بعد حملات الأنفال وضرب حلبجة بالأسلحة الكيماوية أن في العراق ثغرة خطيرة ترحب بكل من رام أمراً أو سما إليه فكان الأمريكان هم السباقون لاغتنام فرصة الوثوب إلى أرض غير معادية لهم وتقع في أخطر موقع استراتيجي على تخوم بغداد وحدود كل من ايران وسوريا وتركيا، وهكذا تأكد للمرة الألف أن الأحمق أخطر على نفسه من كل اعدائه، فمن لم يؤمن داره لا يصلح له أن يهدد ديار الآخرين.

فضل النقيب

إن مجيء جلال الطالباني إلى سدة الرئاسة العراقية تعبير عن عقد اجتماعي جديد يتوخى العدالة وإشاعة الثقة في أوساط الاقليات والذين ينكرون ذلك إنما يستذكرون تاريخ الديكتاتورية، التي من الواضح أن ليس لها مكان في اللغة السائدة الآن، فالرئاسة شبه شرفية وهي رقابة دستورية على مركز القرار الذي يمثله ممثل حزب الأغلبية في رئاسة الوزراء، ولا خوف على العراق ولا على العروبة من طالباني أو برزاني، وإنما الخوف كل الخوف من ميلان موازين العدالة والشوفينية القومية التي تؤذن بالزوال لأنها تجافي العدالة وتعلي من شأن العنصر وتصنع امجاداً وهمية بكلمات انشائية تغالط بها الرأي العام الغافل كما حدث في ألمانيا هتلر وفي يابان الميجاتو وكما يحدث الآن في كوريا كيم إيل سونج.

لقد مرت التشكيلة العراقية الجديدة بولادة عسيرة هي نتاج طبيعي للتعقيد الاجتماعي والموروث الشائك والإحتلال القائم والمقاومة الملتهبة، ويمكن القول عنها أنها الخطوة الأولى في طريق الألف ميل، فما من حلول سحرية تخرج من جراب علي بابا أو مصباح علاء الدين، ولا بد من القول هنا أن الأمريكيين نجحوا في البقاء في الظل تماماً ويبدو أن الصواريخ اعطتهم ما درست، على حد قول الشاعر الزبيري:

ليت الصواريخ أعطتهم تجاربها
فإنها درست أضعاف ما درسوا

إلى متى سنبقى في عالم الوهم؟

محمد أحمد سنان

■ ما الذي يجعلنا نبقى كعرب في نفس المكان دون حراك أو محاولة السير إلى الامام لأننا ومنذ زمن بعيد نعيش في عالم الأوهام والأحلام الكاذبة والرؤى، فما هو السبب يا تري لبقائنا بإصرار على أن لا نتجاوز هذه الحالة المزرية هل هو حب المحافظة على الأسوأ؟

نعم إنها الإنكسارات التي مررنا بها وتوارثناها هي المسؤولة عن بقائنا في هذه الحالة وهي وحدها التي أثبتنا جدارتنا بواسطتها لنواصل العيش بقلق متواصل دون أمل في الخروج من هذه الحالة وكل ما وحاولنا أن نجتاز مشكلة وأجهتنا أخرى أكثر غموضا، وفشلنا في التواصل مع العالم الخارجي وبالذات في كل ما هو إيجابي حتى أصبحنا نشعر بإحباط لهذا الفشل، وإذا حاولنا الهروب مما نحن فيه خوفاً من مواجهة الواقع الذي نعاني منه ولا نحبذ الصدام معه وأصبحنا نتلذذ ونهرب إلى اللامعقول، حيث نشعر بمتعة عدم المواجهة وأصبح الواحد منا يجد نفسه في حرب ضروس بين الواقع والقيم التي تعلمناها والمحكومة بطريقة اجتماعية وفكرية لا مناص من الاستسلام لها وإن كان هناك من هامش للاختيار، فالموت قهراً أو اللجوء إلى عالم الخيال حيث يوجد به قليل من الحرية وكذبة كبيرة من العدل والمساواة، وإذا كانت المعرفة في عصرنا تعد من الفضائل التي ينبغي على الناس الاهتمام بها فإن الجهل أفضل في هذا الزمن الرديء وتصبح الرغبة في جهل الأشياء من حولنا راحة ومتعة ومثال ذلك رغبتنا في عدم معرفة الطريقة التي يثاب فيها ويكافأ المرتشون والفاسدون.

إن القانون يستخدم لحماية الذئاب من سلاح الضعفاء، فالحق الإنساني تحول إما الاستسلام للواقع أو الموت أو ممارسة النفاق أو الجوع والخيبة في الحياة والتسليم للظلم أو الاحتيال والقبول بالذل أو الألم وأصبح الهامش الذي يتحرك به الإنسان إما آكلا أو مأكولاً، ونحن كأمة قد تجاوزنا كل هذه التعبيرات والمفاهيم وما يكتب لتذكير الأجيال القادمة فقط لنوضح لهم رغد العيش الذي نتمتع به جميعاً دون استثناء، وأصبحنا نعيش في استقرار نفسي واجتماعي نحسد عليه وأكثر تقدماً على غيرنا اقتصاديا وروحيا وأخلاقياً فنحد أننا تفوقنا على العالم المتقدم الغارق بالماديات والذي يفتقر للأخلاق، فلنا حق الانتخاب والترشيح و.. .. ولنا الحق في الموت ونحن في الأصل موتى ولن نستعد له لأننا اعتدناه في حياتنا – أيضا – وبهذا تتفوق ديمقراطيتنا على ديمقراطية الغرب الذي ينفق الكثير من المال على الانتخابات وفي الأخير يفوز مرشحهم بهدوء وسكينة، أما نحن فإننا باستمرار في وحدة وطنية وتلاحم لا مثيل له نأكل ونشرب من وعاء واحد، وندرس منهجاً واحداً، ونضرب بعصا واحد، وهنا تختلف المعارضة بعد هذا التلاحم المتميز ومن حسن تربيتنا أننا لا نتبع الوسائل غير المحترمة للوصول إلى المناصب، وهذا دليل التلاحم الحاصل بين الناس، فتكرر انتصاراتنا على بعضنا ونصبح مستقرين لا نتغير وهذا دليل ثبات القيم والمبادئ والفكر، فلو تغير العالم من حولنا سنبقى محافظين على ثوابتنا ولا يخيفنا تغير الأوروبيين والأمريكيين لأنهم على طبعهم منذ نشأتهم ولا ثوابت لهم ليحافظوا عليها، ونحن محافظون على شعاراتنا – الوحدة والحرية – منذ الأزل وحتى يرث الله الأرض ومن عليها فلنا أسلوبنا المتميز في الحياة وهو أسلوب يعتمد عليه المتوكلون والمتواكلون، ولا يهمنا إلا أن نلهوا بما يهتم به الناس ونهتم بما يلهون به وهذه مقولة لحكيم صيني، فنحن نأكل ونشرب ونلبس ونتكلم ونحلم ونعمل فماذا بعد هذه النعم التي نستمتع بها وما وسائل إعلامنا بأنواعها إلا خير مثال للتأكيد على ما نقول، اللهم فاشهد.. إننا بخير.

تكريم المعلم ودوره في العملية التربوية

د. بدر سعيد علي الأغبري●

كل عام من شهر ابريل نحتفل بعيد المعلم وتعمل وزارة التربية على تكريم المعلم المثالي في معظم محافظات الجمهورية وهذا في الحقيقة تقليد جيد وطيب في نفس الوقت ، حيث يعتبر المعلم محور العملية التعليمية وأحد الركائز الهامة والعمود الفقري فيها حيث يتوقف عليه نجاح التربية وتطورها وتقدمها وأيضاً تطور وتقدم المجتمع باعتباره المشعل والنور لطلابه في بلوغ غاياتها، ويتطلب تحقيق العملية التربوية وجود المعلم الكفء الذي يقوم إعداده وتدريبه وتأهيله على استيعاب متطلبات العصر وخصائصه ، فالمعلم الجيد مع مناهج دراسية ليست بالجودة المطلوبة يمكن أن يحدث أثراً طيباً في سلوك تلاميذه ، فعن طريق تفاعل التلاميذ مع المعلم والمهارات والقيم ، ثم كيف يستفيدون مما تعلموه في تعديل سلوكهم في الوقت الحاضر والمستقبل.

ومهما حدثت من تطورات في تكنولوجية التعليم ووسائل التقنية الحديثة فلن يأتي اليوم الذي يمكن أن نستغني فيه عن المعلم، فالمعلم يعتبر أكثر المتغيرات التربوية أهمية في العملية التعليمية لأنه يملك القدرة على إحداث التغيرات المطلوبة في سلوك تلاميذه وطلابه أكثر من أي متغير آخر يتعلق بالمدرسة.

وإذا كانت العملية التعليمية تشتمل على عدة عناصر ، الطالب، المعلم، المنهج، الإدارة المدرسية، الأنشطة والوسائل التعليمية .. إلخ ، فإن المعلم هو أهم هذه العناصر على الإطلاق وذلك لأن المعلم بشخصيته وطريقته يستطيع التأثير على بقية العناصر الأخرى باعتباره حجر الزاوية في العملية التربوية حيث ثبت أن نجاح عملية التعليم يرجع ٦٠٪ منها للمعلم وحده بينما يتوقف نجاح الـ٤٠٪ الباقية على المناهج والكتب والإدارة والأنشطة الأخرى في المدرسة ، ويمكن إرجاع هذه الأهمية إلى فعالية الأدوار التي يقوم بها المعلم بحكم وضعه القيادي في العملية التربوية من حيث كونه موجهاً لتلاميذه ولعملية التعليم والتعلم وناقلاً للتراث الثقافي وعضواً في جماعة المدرسة ومواطناً في المجتمع الذي يعيش فيه ومشاركاً في رسم السياسة التعليمية بالإضافة إلى ذلك هو رائد اجتماعي يعمل على إصلاح المجتمع والإسهام في الارتقاء به من خلال تخطي الصعوبات والعوائق الحائلة أمامه من أمية وغيرها.

❑ مهما أنفقت الدولة على مؤسساتها التعليمية وهيأت لها أحسن المباني المدرسية وأفضل المناهج والكتب وأحدث الوسائل والتقنيات فإن هذه جميعها تبقى وسائل ميته غير فعالة بدون المعلم الكفء المعد والمؤهل

وإذا كان المعلم هو حجر الزاوية في العملية التربوية فهو محروم من الدخل الكافي الذي يوفر له حياة كريمة إذا قورن بزملائه من التخصصات الأخرى وأيضاً من تقدير المجتمع له ، وإلى جانب ذلك عدم إشراكه في الدورات التدريبية والتأهيلية وتزويده بالجديد والمستجد في العلوم التربوية ، ومهما أنفقت الدولة على مؤسساتها التعليمية وهيأت لها أحسن المباني المدرسية وأفضل المناهج والكتب وأحدث الوسائل والتقنيات فإن هذه جميعها تبقى وسائل ميته غير فعالة بدون المعلم الكفء المعد والمؤهل إذ هو الذي يجعل من كل هذه الإمكانات أدوات تستثمر على أحسن وجه في تربية الأجيال ولا بد أن ندرك إن المعلم إذا أحس إعداده أو العكس فإن ذلك يؤثر في الأجيال مدة خدمته في التعليم التي تقارب الثلاثين عاماً ويؤثر خلالها في عشرات الألوف من تلاميذه ، وإذا قورن أثر المدرس على المجتمع فإنه يفوق بمراحل أثر أي تخصص آخر ، وإذا أسيء إعداده أثر سلبياً في عقليات واتجاهات ومهارات مئات الألوف من تلاميذه ، وإذا أسيء إعداد طبيب مثلاً أو مهندس أو صيدلي أو محامي فإن ضرر هؤلاء سيكون قاصرا على أفراد محدودين لا تقاس خسائرهم بما يسببه معلم أسيء إعداده.

لذا فإن من الطبيعي أن يقدر دور المعلم وتهيأ له أفضل الظروف المادية والمعيشية وبرامج الإعداد والتأهيل ولا يبخل عليها بأي جهد أو مال ، فالمعلم هو العمود الفقري للتعليم «كما سبق الإشارة إليه» وبمقدار صلاح المعلم يكون صلاح التعليم وصلاح المجتمع ،والعكس ، إذا فسد المعلم وأخل بواجباته فسد المجتمع ، ولكي يكون لتكريم المعلم مغزاه الحقيقي نرى النظر في وضعه الاقتصادي والأسري من خلال تقديم حوافز مادية له ومنحه ضماناً صحياً واجتماعياً وتسهيل حصوله على قطعة أرض مع مساعدته بقرض سكني مناسب من هيئات التأمينات والمعاشات أو البنوك التجارية وذلك من أجل تأمين حياته وحياة أسرته حتى يشعر بالأمن النفسي والاستقرار الأسري وعلاوة على ذلك يتم التدقيق في اختيار وانتقاء أفضل العناصر الملائمة للالتحاق بمؤسسات إعداد المعلمين وكليات التربية وفقاً لمعايير وأسس موضوعية وفي ضوء ذلك وما سبق توضيحه يتطلب من المعلمين ونحن نحتفل بعيدهم السنوي وتكريمهم أن يعاملوا تلاميذهم معاملة أبنائهم وأن يرفقوا بهم ويخلصوا في إيصال العلم والتحصيل العلمي الجيد إليهم في لطف ويسر ومرونة مع استخدام الوسائل المكنة في تبسيط المادة العلمية عملاً بقول الرسول الأمين «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا» أجل إن على المعلمين حينما يتسلمون أبناءنا في بداية العام الدراسي وعقولهم خالية من المعلومات والمعارف أن يخلصوا في ملئها بما هو نافع وفي صالح المجتمع والوطن.

وفقنا الله إلى ما فيه خير الوطن وأبنائنا..

● كلية التربية –جامعة صنعاء